



مركز صنع السياسات
THE CENTER OF MAKING POLICIES

تقرير

كتائب حزب الله العراقي التحول نحو قوة أكثر نفوذاً في العراق

فراس إلياس

2020-12-07

المرجعية التاريخية لكتائب حزب الله العراقي

مع بدء استعداد الولايات المتحدة لشن عملياتها العسكرية لاحتلال العراق في 20 مارس 2003، بدأت بالمقابل عملية تشكيل كتائب حزب الله العراقي، وتحديداً قبل الاحتلال بأربعة أشهر، عملت في بدايات تأسيسها تحت كتائب أبي الفضل العباس، ونفذت أولى عملياتها العسكرية في 23 أكتوبر 2003، في منطقة البلديات في بغداد، مستهدفةً رتل أمريكي كان يتمركز خلف فندق القناة.

وفيما بعد، تشكلت كتائب حزب الله العراقي، بعد عملية تشكل وانشقاق العديد من الفصائل المسلحة، والتي كان أبرزها:

1. كتائب أبي الفضل العباس.
2. كتائب كربلاء.
3. كتائب زيد ابن علي.
4. كتائب علي الأكبر.
5. كتائب السجاد.

كانت جميع هذه الفصائل تعمل بصورة مستقلة عن الأخرى، ولا نعلم شيئاً عنها، حتى أعلنت عن اندماجها وتشكيل كتائب حزب الله العراقي في بيان أعلنته في 21 أغسطس 2007.

توالت بعد ذلك العمليات العسكرية ضد القوات الأمريكية في العراق، وباستخدام مختلف الأساليب العسكرية، منها العبوات الناسفة واستهداف المقرات ومعسكرات قوات الائتلاف الدولي، وكانت القواعد الشعبية للكتائب تتمركز في مدينة الصدر في بغداد، وفي محافظة ميسان والنجف.

بعد عام 2006، تطور العمل العسكري لكتائب حزب الله العراقي، ليدخل سلاح صواريخ الكاتيوشا في إطار عملياتها العسكرية، كما دخل فيما بعد سلاح القنص والصواريخ المضادة للطائرات (ستريلا 2)، وفي عام 2008، أعلنت الكتائب عن إنتاجها لصواريخ الأشتري، واستخدام هذه الصواريخ ضد القوات الأمريكية، كاستهداف قاعدة الرستمية في 18 نوفمبر 2007، بـ 14 صاروخ كاتيوشا، وقاعدة أسواق الشعب، بـ 8 صواريخ كاتيوشا، وقواعد الدهلكي والأمن العامة ومركز الجزائر.

في صيف 2008، بدأت القوات الأمريكية المدعومة من القوات العراقية عمليات واسعة ضد الفصائل الشيعية المسلحة، سميت بعملية صولة الفرسان في عهد رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري

المالكي، في العديد من المدن جنوب العراق، مستهدفة العديد من الفصائل، كان من ضمنها كتائب حزب الله العراقي، في 6 أبريل 2008، وأصدرت الكتائب بياناً هددت فيه بمقاتلة القوات التي تستهدف قواعدها في هذه المدن.

مع بدء المفاوضات العراقية الأمريكية حول الاتفاقية الأمنية واتفاقية الإطار الإستراتيجي عام 2008، رفضت كتائب حزب الله العراقي هذه المفاوضات، والاتفاقات التي تمخضت عنها، وهددت برفع السلاح في وجه الحكومة العراقية والكتل السياسية التي توافق على أي اتفاقية لا تتضمن نصاً واضحاً بإخراج القوات الأمريكية من العراق، ونتيجة لكل هذه المواقف الرفضية، أعلنت الولايات المتحدة بتاريخ 2 يوليو 2008، إدراج كتائب حزب الله العراقي على لائحة الإرهاب الأمريكية، وبينت وزارة الخزانة الأمريكية في بيان لها: "إن كتائب حزب الله العراقي مارست العديد من الأعمال الإرهابية ضد قوات الائتلاف الدولي والقوات العراقية، وإنها تتلقى دعماً من قبل قبيل قبيلق القدس الإيراني، وحزب الله اللبناني، وتحديداً خلال الفترة بين مارس 2007، ويونيو 2008).

لا تخفي الكتائب تأييدها وانتمائها للمرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي، والجمهورية الإسلامية في إيران، حيث نشرت الكتائب بياناً لها بتاريخ 23 يونيو 2009، وجاء فيه: "إننا في الوقت الذي نعلن فيه وقوفنا إلى جانب الجمهورية الإسلامية متمثلاً بالولي الفقيه السيد الخامنئي، فإننا نحذر القوات الأمريكية والبريطانية، بأن أعمالكم الخبيثة ضد الجمهورية الإسلامية، ستقلب عليكم عقاباً شديداً من أبناء كتائب حزب الله، وسنجعلكم تدمون على أفعالكم، وأن تفكروا مستقبلاً ألف مرة، قبل أن تقدموا على أي خطوة من شأنها أن تزعزع النظام الإسلامي في إيران الإسلام".

في تاريخ 18 أكتوبر 2009، نشر موقع BBC عربي خبر عن وزارة الدفاع الأمريكية تقر فيه بتمكن كتائب حزب الله العراقي، من اختراق شبكة البث المباشر لطائرة الاستطلاع الأمريكية دون طيار باستخدام برنامج Sky Grabber للطائرات بدون طيار (MQ1) بريديتور، و (MQ9) ريبرز.

استمرت كتائب حزب الله العراقي بتطوير قدراتها العسكري، فقد تمكنت في عام 2010 من تطوير صواريخ الكاتيوشا، وإنتاج صواريخ جديدة هي (ذو الفقار والكرار وحيدر)، واستخدامها ضد القوات الأمريكية، ففي تاريخ 5 يناير 2011، قامت الكتائب بضرب قواعد كالسو في شمال الحلة، وسيلر وفيكتور ولبيرتي في بغداد، بمجموعة من صواريخ الأشتروالكرار.

وأهم ما يتطلب ذكره قبل ذكر موقف الكتائب من انسحاب القوات الأمريكية من العراق في ديسمبر 2011، هو موقفها من التظاهرات الشعبية التي انطلقت في 25 فبراير 2011، حيث اتخذت موقفاً سلبياً منها، متهمة حزب البعث والاحتلال الأمريكي بالوقوف وراءها، حيث استمرت الكتائب بمهاجمة قوات الائتلاف الدولي بقيادة الولايات المتحدة حتى آخر يوم أعلنت فيه انسحابها، حيث أعلنت الكتائب بتاريخ 1 يناير 2012، بأن الانتصار على القوات الأمريكية بعد يوم من انسحابها، ما هو إلا انتصاراً للمقاومة الإسلامية في العراق.

في تاريخ 19 يناير 2012، صدر أول موقف من الحكومة العراقية تجاه كتائب حزب الله العراقي، على لسان وكيل وزير الداخلية لشؤون الإسناد السابق احمد الخفاجي، فقد قال فيه "إن الذي يدعي حمل السلاح عليه النزول للشارع، وحينها سيجد القوة الضاربة لقواتنا، وإن أي شخص يحاول العبث بالأمن، ويريد إرجاع العراق إلى المربع الأول، سيكون مصيره كسلفه من الجماعات الإرهابية التي تم القضاء عليها".

مشدداً على إنه "إذا كان لديها القدرة على تنفيذ أجندياتها فلتنزل للشارع، وتنظم إلى ركب الجماعات المسلحة التي نحاربها منذ عام 2003، أما إذا كانت تريد العودة إلى العملية السياسية، فيرحب بها كما حدث مع باقي الفصائل التي تمتلك الآن أحزاباً سياسية".

عادت كتائب حزب الله العراقي للواجهة السياسية في العراق، بعد تكليف السيد عادل عبد المهدي برئاسة الحكومة العراقية، الذي عمل بدوره على ترسيخ سلطة الفصائل المسلحة، وتغلغلها داخل المؤسسات الأمنية، وفرض هيمنتها على هيئة الحشد الشعبي عبر شخصية أبو مهدي المهندس، وتحديدًا خلال فترة اندلاع تظاهرات تشرين الاحتجاجية في أكتوبر 2019، حيث شنت كتائب حزب الله العراقي العديد من الإستهدافات للمتظاهرين، باستخدام أسلحة القنص والخطف والاعتقال، مستغلة نفوذها الحكومي، وسطوتها في تجاوز الحواجز الأمنية، وتكتم الجهات الحكومية على الجهات التي تقوم بشن الهجمات على المتظاهرين، والتي اطلق عليها آنذاك بجماعات الطرف الثالث.

لم يقتصر نشاط كتائب حزب الله العراقي على مواجهة تظاهرات تشرين، بل تعدى ذلك إلى مهاجمة القواعد الأمريكية بعد ذلك، وتحديدًا الهجوم الذي تعرضت له قاعدة K1 في كركوك، والتي أسفرت عن مقتل متعاقد أمريكي عراقي الأصل، يدعى نورس حميد وعمره 23 عاماً، متزوج وله طفلان كما ادعت أرملة، وحصل على الجنسية الأمريكية عام 2017.

وأدى هذا الاستهداف للقاعدة الأمريكية، إلى قيام الجيش الأمريكي بشن هجمات إنتقامية على 5 مواقع عسكرية تابعة لكتائب حزب الله العراقي على الحدود العراقية السورية، أدت إلى مقتل أكثر من 40 وجرح العشرات من عناصر الكتائب، مما فتح الباب لصخب إعلامي يندد بما أسموه "انتهاك السيادة العراقية"، وحملة إدانة من غالبية الطبقة السياسية العراقية، وعلى إثر ذلك دخل العشرات من عناصر الكتائب وفصائل ولائية أخرى المنطقة الخضراء، وقاموا بالهجوم على السفارة الأمريكية وتحطيم بعض ممتلكاتها في يوم 31 ديسمبر 2019، مما جعل المسؤولين الأمريكيين يراقبون بقلق الأوضاع، مستذكرين ما حصل للسفارة الأمريكية في طهران عام 1979، وأزمة الرهائن، وهو ما جعل الرئيس الأمريكي دونالد ترامب يفكر برد حاسم على الخطوة الأخيرة التي قامت بها الكتائب.

دخل العراق منعطف خطير مع إقدام الولايات المتحدة على اغتيال قائد فيلق القدس قاسم سليماني، رفقة نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي أبو مهدي المهندس، وعدد من ضباط الحرس الثوري والحشد الشعبي، في محيط مطار بغداد الدولي في 3 يناير 2020، وهو ما فتح الباب أمام هجمات متتالية شنتها ما تعرف بـ"خلايا الكاتيوشا"، والتي ترتبط بصورة غير مباشرة بالكتائب، على المقرات العسكرية والسفارة الأمريكية في العراق، ومن أبرز الهجمات التي قامت بها هذه الخلايا، هي الهجوم الذي استهدف قاعدة التاجي شمال بغداد في 12 مارس 2020، والذي أسفر عن مقتل جندي أمريكي وآخر بريطاني، وتبع ذلك رد من القوات الأمريكية بقصف مخازن للصواريخ ومقرات للسيطرة والتحكم تابعة للكتائب.

وبالرغم من بروز عدة خلايا مسلحة، والتي من أبرزها أصحاب الكهف وعصابة الثائرين وسرايا شهداء ثورة العشرين الثانية وقبضة الهدى ولواء ثار المهندس ولواء منتقمون، فإن جميعها ترتبط بشكل أو بآخر بقيادة كتائب حزب الله العراقي، وفصائل ولائية أخرى، منها عصائب أهل الحق، وسرايا الخرساني وكتائب سيد الشهداء وكتائب الإمام علي.

شكلت العملية العسكرية التي نفذها جهاز مكافحة الإرهاب العراقي، ضد خلايا الكاتيوشا في منطقة الدورة في 26 يونيو 2020، عندما داهمت مقرّاً كانت تتمركز به، وكانت تستعد لشن هجمات صاروخية على مقر عسكري أمريكي في محيط مطار بغداد الدولي، واعتقلت ما يقرب من 13 عنصراً، لتدهم بعد ذلك كتائب حزب الله العراقي المنطقة الخضراء، ومحاصرة مقر جهاز مكافحة الإرهاب، في مشهد مشابه لما فعله الحوثيين بعد سيطرتهم على صنعاء عام 2014، وأسقطوا الحكومة الشرعية،

وبعد وساطات قادها رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي، ورئيس تحالف الفتح هادي العامري، أدت إلى تهدئة الأمور، وانسحاب عناصر الكتائب، وتم الإفراج عن المعتقلين في صباح اليوم التالي.

تنبغي الإشارة إلى إنه يوجد في العراق اليوم العديد من الجماعات المسلحة التي تحمل ذات الاسم، الذي تحمله كتائب حزب الله العراقي، إلا إن الكتائب نفت ارتباطها بها، ومن أبرز هذه الجماعات هي:

1. كتائب حزب الله - الجند المكين في الناصرية.
2. كتائب حزب الله - الثائرون.
3. كتائب حزب الله - الغالبون.
4. كتائب حزب الله - المتين.
5. كتائب حزب الله - المختار.
6. كتائب حزب الله - النبأ العظيم.
7. كتائب حزب الله - الفتح المبين.
8. كتائب روح الله.
9. كتائب الأشتار.

التمويل والدعم المالي لكتائب حزب الله العراقي

كتائب حزب الله العراقي في بداية تشكيلها كانت تتلقى الدعم المالي واللوجستي من الحرس الثوري الإيراني، وتحديداً فيلق القدس، عبر قائد الفيلق السابق قاسم سليمان، ولكن بعد إقرار قانون هيئة الحشد الشعبي رقم 40 لسنة 2016، أصبحت الكتائب ممولة بشكل كامل من قبل الحكومة العراقية، عبر دفع رواتب المقاتلين الذين يتبعون الكتائب، والذي تتراوح ما بين 600 دولار إلى 1200 دولار شهرياً، ويتم التمييز بينهم حسب الرتب والمناصب الممنوحة لهم، بعد معاملة المقاتلين في الحشد الشعبي، بنفس سلم الرواتب الذي يخضع له الجندي العراقي، حسب القانون المذكور.

تمتلك كتائب حزب الله العراقي ثلاث ألوية داخل هيئة الحشد الشعبي، وهي الألوية 45 و46 و47، ويضمن أيضاً تمويل العمليات والدعم اللوجستي ضمن باب صرف مقر ضمن قانون الموازنة،

يطلق عليه النفقات الاستثمارية، مع ذلك تقوم الكتائب بجمع الأموال خلافاً للقانون، وذلك عبر عمليات التهريب والجباية والابتزاز والتهديد، حيث تقوم بفرض السيطرة على بعض المنافذ الحدودية، مشتركة مع بعض الفصائل المسلحة، أو منفردة، مثل منفذ القائم، حيث تسيطر عليه علناً، وعبر هذا المنفذ تقوم بتهريب المنتجات أو عوائل الدواعش العراقيين من سوريا للعراق مقابل أموال طائلة، أما ميناء أم قصر الشمالي، فتؤكد المصادر سيطرة الكتائب عليه بصورة واضحة منذ سنوات، ويتم عبره جباية المنتجات المستوردة إلى العراق، وإدخالها دون المرور بدوائر الكمارك أو الضريبة في هذا الميناء، وبالإضافة إلى كل ما تقدم، تشكل السيطرة الخارجية أحد أبرز الموارد الرئيسية لدعم نشاطات الكتائب مالياً، وذلك من خلال تحكمها بعمليات دخول وخروج البضائع، إلى جانب تجارة الحديد والنفط وغيرها، وتحديداً في المدن المحررة من سيطرة داعش.

كما تمتلك كتائب حزب الله العراقي شركات مالية وشركات أخرى، فضلاً عن تمويلها لشركات مختلفة التخصصات، أبرزها تلك التي تستحوذ على مناقصات وعقود حكومية، وتحديداً في مجال الاستثمار والعقود التجارية.

القدرات العسكرية لكتائب حزب الله العراقي

تمتلك كتائب حزب الله العراقي خزين كبير من الأسلحة، بعضها أمريكية الصنع استحوذت عليها من مخازن الجيش العراقي خلال الحرب على داعش، وبعضها الآخر روسية الصنع، جاءت عبر فيلق القدس الإيراني، أما الجانب الثالث من الأسلحة، فهي عراقية المنشأ، وذلك بعد سيطرة الكتائب على معامل التصنيع العسكري التابعة للجيش العراقي السابق، وتحديداً في مناطق الزعفرانية وأبو غريب في بغداد، حيث يعمل بها العديد من ضباط التصنيع العسكري العراقيين، ويشرف عليهم ضباط إيرانيين، وقاموا بتطوير العديد من الصواريخ والأسلحة المتوسطة والخفيفة.

مع استحواد الكتائب على السلاح من مختلف المناسي، وتمويل مقدم من قبل هيئة الحشد الشعبي، فإنها أصبحت قوة عسكرية ضاربة في العراق، إذ تمكنت الكتائب مؤخراً من تطوير الصاروخ الحراري M133 Kornet9، كما يقول أحد المقاتلين في الكتائب، إن الكتائب قامت بالسيطرة على مختلف الأسلحة الخفيفة والمتوسطة والثقيلة الموجودة في مخازن الجيش العراقي السابق بعد الاحتلال، ونقلها إلى مخازن الكتائب، وشملت هذه الأسلحة (الكلاشنكوف AK-47، والمسدسات M-16 و PKG، وقذائف صاروخية RPG-7، وأسلحة قنص B29 و HS-50، ومدفع هاون 60 - 180

ملم، فضلاً عن قاذفة صواريخ كاتيوشا، وصواريخ ستريلا 2 المقاومة للطائرات، ومدافع الرشاش دوشكا 7. 12 ملم، ومدفع رشاش ZU-23-2 مضاد للطائرات، والراجمات الصغيرة المثبتة على الأرض، وعجلات لنقل الجنود، وصواريخ غراد BM-21 روسية الصنع.

كما تمتلك الكتائب مختلف أنواع العبوات الناسفة محلية الصنع، وبعضها تم استيرادها من إيران، واستخدمت بعضها ضد القوات الأمريكية، والبعض الآخر خلال الحرب على داعش.

وفي ما يتعلق بالمخازن العسكرية التي تمتلكها الكتائب، تشكل منطقة جرف الصخر جنوب غرب بغداد، أكبر المناطق التي تشهد نشاطاً عسكرياً لكتائب حزب الله العراقي، فهي اليوم تشكل معقلاً رئيسياً لأسلحة ومعدات الكتائب، كما إنها أصبحت مضيفاً للصواريخ الباليستية الإيرانية، والصواريخ المعنية هي "زلزال وفتح وذو الفقار" ويتراوح مداها بين 200 و700 كيلومتر، تم تخزينها في منشآت ومعسكرات في جرف الصخر، وهو نشاط وتدفق صاروخي يتم بعلم الحكومة العراقية رغم نفيها، فضلاً عن تواجد معتقل سري كبير هناك، يقبع فيه مئات المغيبيين من السنة والشيعة، المعارضين لنفوذ إيران في العراق، كما تجري عمليات تجريف وتغيير ديموغرافي تسير هناك على قدم وساق، لتفريغ المنطقة من المكون السني، فضلاً عن عمليات توطين عائلات عناصر الميليشيات في الإيرانية، حيث أصبحت تضم، معسكرات لتدريب قوات معارضة تضم عناصر عرب من دول الخليج، وأجانب ينتمون للواء فاطميون الأفغاني وحزب الله البحريني وحزب الله الكويتي، وحزب الله في الإحساء السعودي وعناصر من ميليشيا الحوثيين اليمنية، حتى أصبحت منطقة عسكرية مدججة بالسلاح ومحاطة بأسوار يقودها جنرالات كبار من فيلق القدس الإيراني.

كما إن مهندسي وفنيي الكتائب تمكنوا مؤخراً من تصنيع أسلحة جديدة، مثل صاروخ الأشرار وذو الفقار والكرار، وجعلها ذات قوة أكبر في التفجير والتدمير والسرعة والتحكم بالدفع، إلى جانب تطوير صناعة الطائرات بدون طيار، فضلاً عن استيراد أعداد كبيرة منها من إيران.

خلايا الكاتيوشا... الذراع العسكرية الطويلة للكتائب

خلايا الكاتيوشا هي خليط متجانس ومتربط من حيث الاندماج العقائدي والفكري، جاءت نتيجة عملية تفريخ داخلية للفصائل الولائية، والمرتبطة بصورة غير مباشرة بقوة القدس، ومرجعية المرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي، ومن أبرز عناوين هذه الخلايا هي: (أصحاب الكهف، قبضة الهدى،

عصبة الثائرين، سرايا شهداء ثورة العشرين الثانية، سرايا أولياء الدم، لواء منتقمون، لواء ثار المهندس، لواء المنتقم)، وهي تتشكل من مقاتلين ينتمون لعدة فصائل ولائية، إلا إن قاعدتها العسكرية الرئيسية تتمثل بكتائب حزب الله العراقي. وقد اعلن مؤخرا عن سرايا ثار الشهداء لاستهداف القوات الامريكية.

وجدت كتائب حزب الله العراقي في خلايا الكاتيوشا، وسيلة فاعلة لمعاملة الولايات المتحدة بالمثل، وذلك عبر تنفيذ هجمات صاروخية غير مسؤولة على المقرات الأمريكية، ففي الوقت الذي تعلن فيه الولايات المتحدة عدم علمها بالهجمات التي تتعرض لها مقرات الفصائل المسلحة، كذلك تفعل كتائب حزب الله العراقي في إعلان عدم علمها بهذه الخلايا وعملياتها الصاروخية¹. ورغم عدم وجود قيادة واضحة لهذه الخلايا، وعدم إعلان كتائب حزب الله مسؤوليته عن الهجمات الصاروخية التي تقوم بها الخلايا، إلا إن هناك وحدة خطابية وسياسية وعقائدية واضحة تربطها بالكتائب، وتحظى بدعمها غير المباشر، وهو ما يؤشر لتطور مهم في عمل كتائب حزب الله العراقي في العراق، عبر فكرة القيادة من الخلف، دون إثار الجانب الأمريكي الهجمات التي تقوم بها هذه الخلايا.

تستلم العناصر الفاعلة في خلايا الكاتيوشا مرتباتها الشهرية من هيئة الحشد الشعبي، عبر ارتباطهم بكتائب حزب الله العراقي، كما إنهم يحملون باجات الكتائب الرسمية، ويتنقلون بعرباتهم العسكرية، ويعمل الإعلام الولائي المتمثل بالقنوات التلفزيونية المرتبطة باتحاد الإذاعات والتلفزيونات الإسلامية الممول إيرانياً، على بث العديد من العمليات العسكرية التي تقوم بها هذه الخلايا، إلى جانب بعض القنوات الناشطة على تطبيق تلغرام، ومن أبرزها قناة صابرين نيوز، فضلاً عن العديد من الخلايا الإلكترونية الناشطة في وسائل التواصل الاجتماعي كفيسبوك وتويتتر².

شنت خلايا الكاتيوشا خلال الفترة من يناير وحتى سبتمبر 2020 ما يقرب من 70 عملية استهداف للمقرات الأمريكية، كانت حصيلتها مقتل متعاقد أمريكي في قاعدة كي 1 في كركوك في ديسمبر 2019³. ومقتل ثلاث جنود وإصابة 12 جندي من التحالف الدولي الذي تقوده الولايات

¹ هشام الهاشمي، الخلاف الداخلي في الحشد الشعبي، مركز صنع السياسات للدراسات الدولية والإستراتيجية، 2020، ص 10.

² فراس إلياس، خلايا الكاتيوشا: الذراع الطويلة للفصائل اللائية في العراق، مركز الإمارات للسياسات، في 30 سبتمبر 2020.

<https://bit.ly/3gfrPRJ>

³ البنتاغون يؤكد مقتل متعاقد مدني أمريكي بهجوم صاروخي على قاعدة عسكرية شمالي العراق، موقع روسيا اليوم، في 28 ديسمبر 2020.

<https://bit.ly/302XKOg>

المتحدة، في قصف آخر أصاب قاعدة التاجي في مارس 2020.⁴ بالإضافة إلى استخدام هذه الخلايا طائرات استطلاع بدو طيار (درون)، لتصوير السفارة الأمريكية في بغداد، وقاعدة عين الأسد في الأنبار، وفي الأونة الأخيرة غيرت هذه الخلايا من إستراتيجيتها العملية، عبر استهداف قوافل تحمل إمدادات إلى منشآت الولايات المتحدة أو التحالف الدولي، والتي وصلت إلى 25 هجوماً مسلحاً.⁵ وتحديداً في البصرة والناصرية وصلاح الدين، فضلاً عن منطقة أبو غريب غرب بغداد في 17 سبتمبر 2020، التي أعلنت جماعة (قاصم الجبارين) مسؤوليتها عنها.

ربع الله... لباسيج المدني لكتائب حزب الله العراقي

جماعة ربع الله هي جماعات تعبئة شعبية تتبع التنظيمات والكوادر الداخلية للفصائل الولائية في العراق، وتحديداً كتائب حزب الله العراقي، جاءت نتيجة عملية دمج داخلي للعناصر التنظيمية المنضوية ضمن الكتائب، وتحظى بدعم مالي ولوجستي من إيران، عبر جنرالات في فيلق القدس، إلى جانب مستشارين في حزب الله اللبناني، عبر إخضاع عناصر هذه الجماعات لدورات ميدانية وإعلامية، للتدريب على عمليات الاقتحام والحشد، واختيار الشعارات والحرب النفسية والإعلامية، وهي جماعات تدين بالولاء للمرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي.

ظهرت هذه الجماعات في مطلع العام الحالي على أرض الواقع، وتحديداً بعد عملية اغتيال قائد فيلق القدس قاسم سليماني، رفقة نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي أبو مهدي المهندس، واقتصرت مهمتها الأساسية في البداية، على التغلغل في صفوف المتظاهرين، وجمع المعلومات عنهم، من أجل تنفيذ عمليات اعتقال واغتيال بحقهم، وهي كانت جزءاً من غرف العمليات التي شكلها سليماني رفقة المهندس ومدير مكتب رئيس الوزراء العراقي في زمن عادل عبد المهدي أبو جهاد الهاشمي، لقمع المحتجين وإجهاض التظاهرات الشعبية في بغداد.

وفيما بعد توسعت عمليات هذه الجماعات، عبر تنظيم مظاهرات موازية في بغداد، وباقي المدن التي تشهد حراكاً شعبياً متصاعداً، من أجل إخراج التظاهرات عن مسارها الصحيح، والتشويش

⁴ مقتل 3 عسكريين من قوات التحالف الدولي في هجوم صاروخي بالعراق، القدس العربي، في 11 مارس 2020.

<https://bit.ly/2RUF2E2>

⁵ نظام الكاظمي قد ينهار.. تقرير: العراق على موعد مع مفاجأة أكتوبر، موقع أين نيوز، في 26 سبتمبر 2020.

<https://bit.ly/3cyWgAp>

على مطالب المتظاهرين، كما إنها مارست دوراً مهماً في عملية التحشيد حول السفارة الأمريكية في المنطقة الخضراء في ديسمبر 2019.

وجدت كتائب حزب الله العراقي في جماعات ربع الله، وسيلة فاعلة لمواجهة التظاهرات الشعبية في العراق، وذلك عبر الدفع بهم للنزول للشارع، مستغلةً التسهيلات الأمنية التي قدمتها حكومة الرئيس الوزراء السابق عادل عبد المهدي، إذ قامت هذه الجماعات بالعديد من عمليات الطعن التي تعرض لها المتظاهرين، إلى جانب اقتحام مقرات قنوات عربية كانت تغطي التظاهرات، إلى جانب قنوات عراقية، ورغم عدم وجود قيادة واضحة لهذه الجماعات، إلا إنها تحظى بدعم وتأثير الكتائب، حيث تعمل اليوم إلى جانب جماعة ربع الله، جماعات أخرى بدأت تفرض نفسها على الشارع العراقي، وأهمها أهل المعروف وأحباب الله.

الكتائب الإلكترونية لحزب الله العراقي

تشكلت الكتائب الإلكترونية لحزب الله العراقي في البدء على شكل مجموعات متواجدة على تطبيق الواتساب وتلغرام، تتواصل فيما بينها عبر تبادل المعلومات والأخبار، حول التظاهرات والصحفيين المناوئين للفصائل الولائية، والنفوذ الإيراني في العراق، بعدها تطور عمل هذه المجموعات، لتقتحم مجال مواقع التواصل الاجتماعي كتويتر وفيسبوك، ومن أبرز الحسابات التي تديرها هذه الكتائب هي "المستشار" و"السيدة الأولى" و"الحجي والخال" و"الجوكرية"، وهي جميعها حسابات وهمية، تبعث برسائل تهديد مباشرة للمعارضين والمناوئين.

انتهى الأمر بعد ذلك بهذه الكتائب الإلكترونية بتأسيس منصة "صابرين نيوز" التي تعد حالياً الأبرز في نقل أخبار خلايا الكاتيوشا وعملياتها ضد المصالح الأمريكية، ولفقت "صابرين نيوز" الانتباه خلال الأشهر الماضية، عندما كانت تنشر أخبار استهداف السفارة الأمريكية أو المعسكرات العراقية التي تضم قوات من التحالف الدولي، قبل وقوعها بفترة وجيزة، وتدير هذه الحسابات والمنصات شبكة واسعة، تضم شخصيات معروفة ومحليين سياسيين يتحركون بين بغداد وبيروت، ويواظبون على الظهور في القنوات التابعة للمحور الإيراني، بالإضافة لناشطين على مواقع التواصل الاجتماعي.⁶

⁶ من بغداد إلى بيروت.. كشف تفاصيل الجيش الإلكتروني لميليشيات إيران بالعراق، موقع قناة الحرة، في 9 أكتوبر 2020.

<https://arbne.ws/2Hb57g6>

بعدها تطور عملها، بفعل الدعم والتمويل الإيراني، فتوسّعت الشبكات الإعلامية الداعمة لعمل هذه الميليشيات، واستعانت الشبكة بموظفين لإدارة حساباتها بمرتبات تصل إلى 2000 دولار شهرياً، وإن أغلب المنصات الإعلامية الداعمة لها تضم أشخاصاً ينتمون لكتائب حزب الله العراقي، وآخرين مقرّبين من شخصيات تابعة لرئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي، وهناك حملة إلكترونية متزامنة وواسعة تقوم بها "صابرين نيوز"، بالتنسيق مع قناة العالم الإيرانية، لتحشيد الشارع بالاتجاه الذي تقتضيه المصلحة الإيرانية في العراق.⁷

وفي الوقت الحاضر، تُشكل المقاومة الإلكترونية فريق فاطميون، وفريق كوثر يون الإلكتروني، ومجموعة القراصنة "نيو سايبير"، أبرز الأذرع الإعلامية لكتائب حزب الله العراقي.⁸ وأصبحت بمثابة جيش الكتروني في العراق، إذ سخرت إيران ما يقرب من 20 مليون دولار، لدعم وتجهيز هذا الجيش، وتقوم بعمليات تمجيد للحوثيين وحزب الله اللبناني، إلى جانب كتائب حزب الله العراقي.⁹

الكاظمي وكتائب حزب الله العراقي / صراع الإرادة والإصلاح

تتصرف كتائب حزب الله العراقي وعبر هيمنتها على هيئة الحشد الشعبي، كدولة موازية، فهي تدير نظاماً قضائياً موازياً وسجوناً سرية، واقتصاد موازي غير شرعي، وجهداً حربيّاً موازياً يقوض وحدة القيادة عبر المؤسسة العسكرية العراقية.¹⁰ وهو وضع أشد بدوره لطبيعة التعقيد التي أنتجته هيمنتها على واجهة الحشد الشعبي في المشهد الأمني العراقي، وهو أمر جعل رئيس الوزراء العراقي السيد مصطفى الكاظمي، يفكر ملياً في كيفية إعادة تطبيع وضع الحشد الشعبي.

جاءت رغبة الكاظمي لإعادة تعريف الحشد الشعبي ودوره عبر مبادرات عدة، وكان قد أعلن عن أولى هذه المبادرات في زيارته لمقر هيئة الحشد الشعبي في 16 يونيو 2020، عندما أكد على إن الحشد الشعبي هو حشد المرجع الشيعي السيد السيستاني، وإن القانون رقم 40 لسنة 2016،

⁷ العراق.. ملايين الدولارات تحرك ميليشيات إلكترونية وشبكة حسابات وهمية، موقع باسنيز، في 11 أكتوبر 2020.

<https://bit.ly/348H3Uj>

⁸ Hamdi Malik, The Rise of Kata'ib Hezbollah's Hegemonic 'Resistance', The Washington Institute, 1 Dec 2020.

<https://bit.ly/2Juv1Ny>

⁹ ميليشيات إيران أنفقت 20 مليون دولار للتحريض ضد المتظاهرين بالعراق ولبنان، موقع صوت بيرون انترناشيونال، في 10 أكتوبر 2020.

<https://bit.ly/31kSF15>

¹⁰ Michael Knights, Hamdi Malik, and Aymenn Jawad Al-Tamimi, Honored, Not Contained: The Future of Iraq's Popular Mobilization Forces, The Washington Institute for Near East Policy, March 2020, p 3.

سيكون الأساس لأي تعامل حكومي مستقبلي مع وضع الحشد الشعبي، وهو توجه قد يغير وضع الحشد الشعبي إذا ما تم، كونه سيخفف من سطوة كتائب حزب الله العراقي المهيمنة على الحشد الشعبي، والتي ترفض بشدة تطبيق هذا القانون.

وإلى جانب ما أعلن عنه السيد الكاظمي؛ ذهب أيضاً باتجاه اعتماد مجموعة مبادرات إدارية الهدف منها احتواء الكتائب، ومن أبرز هذه المبادرات؛

1. استثمار الدعم الذي تقدمه مرجعية النجف، الداعية لحصر السلاح بيد الدولة، وتطبيق الأوامر الديوانية الخاصة بحصر السلاح بيد الدولة، وإعادة هيكلة الحشد الشعبي، وهو ما عبر عنه الكاظمي في أكثر من مناسبة.
 2. البدء بحوار إستراتيجي مع الولايات المتحدة، يتناول في أحد جوانبه إصلاح قطاع الأمن في العراق، وهو توجه يرمي لكبح جماح الفصائل اللوائية في العراق.
 3. البدء بفرض سلطة الدولة العراقية على المنافذ الحدودية مع إيران، والتي ساهمت في بناء اقتصاديات كبيرة لها، عبر اعتماد سياسة الأتاوات والتجارة غير الشرعية، إلى جانب أعمال المقاولات والاستثمارات غير القانونية، والتي تستحصل عليها عبر التهديد والقوة، أو حتى عبر سيطرتها على الموانئ والمنافذ الحدودية.
 4. البدء بإصلاحات إدارية تمثلت بتعيين عبد الغني الأسدي على رأس جهاز الأمن الوطني، والسيد قاسم الأعرجي على رأس مستشارية الأمن الوطني، وهي مناصب كان يديرها السيد فالح الفياض المقرب من إيران.
 5. إصدار الأمر الديواني رقم 129 لسنة 2020، والقاضي بتعيين الفياض رئيساً لهيئة الحشد الشعبي، وهو توجه حكومي يهدف لاستثمار علاقة الفياض بالكتائب وإيران، والتهدئة معها.
- إن موضوع إصلاح وضع هيئة الحشد الشعبي، كجزء من عملية إصلاح قطاع الأمن في العراق، أخذ يترجم نفسه عبر العديد من الأوامر الديوانية التي صدرت، ومن أبرزها الأوامر المرقمة (237 - 328-331) الصادرة في عام 2019، والتي أكدت على ضرورة إجراء مراجعة هيكلية ووظيفية لدور الحشد الشعبي، وبالشكل الذي يحقق مزيداً من التكامل الوظيفي بين فروع القوات المسلحة العراقية، بصورة تجعل من الحشد الشعبي قوات عسكرية خاضعة لأوامر وقيادة القائد العام للقوات المسلحة العراقية.

إذ تنظر كتائب حزب الله العراقي إلى جهود تطبيع الحشد الشعبي، بأنها جزء من إستراتيجية أمريكية موجهة ضد إيران، ومن ثم فإنها أعلنت في أكثر من مرة، بأنها ينبغي أن تكون جزءاً من قيادة أية عملية إصلاحية تطال الحشد الشعبي، وأن تكون هذه العملية من الداخل، ورفض أي جهود إصلاحية تأتي من الخارج، والأكثر من ذلك، تنظر هذه الكتائب بأن أي عملية إصلاحية ينبغي ألا تؤثر على دور ومهام الحشد الشعبي، وهو ما يجعل من مسألة تطبيع الحشد الشعبي مسألة تخضع لمتغيرات داخلية عراقية، واستحقاقات إقليمية ودولية.

أصدر رئيس هيئة الحشد الشعبي الفياض مذكرة في يونيو 2020، في شكل رسالة موجهة إلى مكتب رئيس الوزراء الكاظمي، وتشير المذكرة إلى إعادة تفعيل عملية إصلاح الحشد الشعبي في ظل الحكومة الجديدة، مع الإشارة إلى قانون هيئة الحشد الشعبي رقم 40 لعام 2016، والأمر الديواني رقم 237 لسنة 2019، فيما لو تم العمل بها.

وفي مقابل ذلك؛ واجهت الكاظمي العديد من الصعوبات في إمكانية إزاحة الكتائب عن واجهات الحشد الشعبي، ومن أبرزها:

1. القوة العسكرية الكبيرة التي أصبحت تمتلكها، بحيث أصبحت اليوم تمتلك مختلف أنواع الأسلحة الثقيلة والمتوسطة والخفيفة، إلى جانب انتشارها في مختلف الخارطة العراقية.
2. الاستقلالية الاقتصادية التي حققتها خلال الفترة الماضية، مما جعلها بعدم حاجة للدعم الحكومي المقدم للحشد الشعبي، وعلى الرغم من تخصيص ثلث ميزانية الدفاع للحشد الشعبي، حسب موازنة 2019، إلا إن هذا التخصيص لا يشكل إلا نسبة بسيطة من الاقتصاد الكبير الذي بنته داخل العراق، وأصبحت موزع رئيس لباقي الفصائل في العراق.
3. التلقين العقائدي الذي يتلقاه المقاتلين في الكتائب، ما يجعل عملية دمجهم بالمؤسسة العسكرية العراقية صعباً للغاية، وهي عملية تلقينية تختلف عن سلوكيات وممارسات الجندي العراقي، خصوصاً فيما يتعلق بالنظرة لإيران ومحور المقاومة والتبعية للولي الفقيه.
4. الدور الإيراني الرفض لأية عملية إصلاحية تطال الحشد الشعبي، واعتبار ذلك إخلالاً بالتوازنات الإقليمية التي يشكل محور المقاومة جزءاً منها.
5. تواجد كتائب حزب الله العراقي، في جغرافيات معقدة أمنياً، وتحديداً تلك التي تشهد مواجهات مع عناصر تنظيم داعش.

الخاتمة

شكلت كتائب حزب الله العراقي، إحدى أبرز التحولات الأمنية والسياسية في المشهد العراقي، هذا التحول يستمد تأثيره، من التأثير الذي باتت هذه الكتائب تمارسه سياسياً وأمنياً في العراق، فهي أصبحت الواجهة الرئيسية والمهيمن المؤثر في القرار السياسي والأمني الخاص بهيئة الحشد الشعبي، وذلك بسبب دعمها من قبل الفصائل الولائية الأخرى، فضلاً عن الدعم الذي تتلقاه من إيران، كما إنها تمارس تأثيراً وجذباً على باقي العناصر المنضوية ضمن الفصائل الولائية الأخرى، التي أصبحت متأثرة بشكل وأخر بنموذج حزب الله العراقي.

لم تستطع الحكومات العراقية منذ عام 2006، من كبح جماح الكتائب، وما زاد من قوتها، تبنيها من قبل نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي أبو مهدي المهندس، والرعاية الخاصة من قبل قائد فيلق القدس السابق قاسم سليماني، ما جعلها تتمايز بصورة كبيرة عن الفصائل الولائية الأخرى، أهمها منظمة بدر وعصائب أهل الحق وحركة النجباء، بحيث أصبحت اليوم تسيطر على مقدرات اقتصادية ومناطقية كبيرة، قد تجعل منها مستقبلاً القوة الرئيسية في العراق، وقد تختصر عناوين العديد من الفصائل الولائية بداخلها في المرحلة المقبلة.

الأكثر من ذلك، شكلت عملية تبني كتائب حزب الله العراقي، لمشهد المواجهة مع الولايات المتحدة في العراق، مدخلاً مؤثراً في تحقيق مزيداً من المشروعية العقائدية داخل الحواضن الاجتماعية في مدن وسط وجنوب العراق، فليس هناك قوة فصائلية تتمتع بتأثير ونفوذ الكتائب اليوم، وهي ما جعلها محور المواجهة الأمريكية الإيرانية في العراق، منذ مطلع العام الحالي.

ان التوسع لدى الكتائب سياسياً واجتماعياً (ربح الله) واقتصادياً وعسكرياً، يحيلها الى قوة ذات موقع حساس على السياسة العرقية، من حيث عدم احترامها للقواعد الحاكمة للسياسة العراقية منذ سبعة عشر عام، وهو ما قد يجعلها تكون تحت بقعة الضوء في المرحلة المقبلة.